

## سيمائيات الإدراك وفلسفة الوعي المقصدي

### -مطارحة فينومينولوجية

#### *The semiotics of perception and the philosophy of intentional consciousness -Phenomenological study*

غروسي قادة\* GHAROUSSI Kadda السيمائيات  
جامعة جيلالي ليايس سيدي بلعباس-  
(الجزائر) وفلسفة اللغة gharoussi.prf@gmail.com

\*\*\*\*\*

تاريخ النشر: 2024/12/31

تاريخ القبول: 2024/12/27

تاريخ الإرسال: 2024/11/13

#### ملخص:

ترتكز هذه الورقة البحثية حول النظرية الفينومينولوجيا (الظاهراتية) في مدارسها للموضوع والذات وتاليا الوعي والقصد، وبالتالي، إنما هو تأسيس لنظرية الإدراك الحسي الوصفي، كون أن الفينومينولوجيا La *phénoménologie* في أصولها الفلسفية والنقدية علم يتوقف على وصف الظواهر، أو بتعبير أنطولوجي تحديد بنية الظواهر وشروطها العامة بمعنى مُشَكِّل الظهور أو الانبثاق (أي ظاهرة كانت) في اتصاله الأول وهلة اتصالاً مباشراً بالوعي. وهذا التحديد تسعى الفينومينولوجيا للحد من التساؤل حول الموضوع والوعي به، والشكل الذي يتخذه هذا الوعي حيال الموضوع، فالظاهرة وحدة قائمة بين الشعور والوجود، أي بين الذات والموضوع. وعليه تغدو الفينومينولوجية في صورتها النسقية والفلسفية وفي إطار التجربة مرتبطة بالوصف والإدراك وليس التفسير أو التحليل.

الكلمات المفتاحية: الفينومينولوجيا/الظاهراتية؛ المقصدية؛ الفلسفة؛ السيمائيات؛ الإدراك.

#### Abstract :

This research paper focuses on phenomenology in its study of the subject and the self, and consequently, consciousness and intention. Thus, it establishes a theory of descriptive sensory perception, as phenomenology (La *phénoménologie*) in its philosophical and critical origins is a science that relies on describing phenomena, or, in ontological terms, determining the structure of phenomena and their general conditions in the sense of the problematic of appearance or emergence (whatever the phenomenon may be) in its initial connection, a direct connection to consciousness. With this definition, phenomenology seeks to limit the inquiry into the subject and its awareness, as well as the form that this awareness takes regarding the

\* المؤلف المرسل: gharoussi.prf@gmail.com

subject. The phenomenon represents a unity between feeling and existence, that is, between the self and the object. Therefore, phenomenology, in its systematic and philosophical form, is linked to description and perception rather than interpretation or analysis.

**Keywords:** phenomenology; intentionality; philosophy; semiotics; perception

## 1. مقدمة:

إذا كانت الفينومينولوجيا/الظاهراتية في منطلقاتها المعرفية تجعل من الوعي هو الوعي بشيء ما *Toute conscience est conscience de quelques choses* حسب تعبير برانتانو **Brentan** (Jean François Lyotard, 1976, 15, *La phénoménologie*). فإن ذلك سيجعل منها خاصية تشتغل على «صياغة صور الظواهر من خلال إضفاء المعاني والدلالات عليها، واكتسابها ماهيات تعبر عن خصوصياتها وتميزها. ومراحل الصياغة والدلالة هي مراتب الالتقاء بين الوعي والأشياء الكائنة خارجه، فالروابط – الأنطولوجية والدلالية والصورية – بين الوعي والشئ كظاهرة هو الوعي الذي يحدد موضوع الفكر الفينومينولوجي بامتياز: بتعبير آخر، يتشكل المعنى من التوجه الذي يباشره الوعي تجاه موضوعه، وهو ما يسمّيه هو سورل بـ (القصدية) *Intentionnalité* وهي نمط العلاقة الذي يربط الوعي. بمضمون الظاهرة.» (شوقي، م، ز. 103). فهذا الوعي لدى هوسرل ليس وعياً ذاتياً، وإنما وعي الذات بموضوعها.

وفي هذا المجال نجد أن جوليان ألجيرداسغريماس في أكثر من مناسبة يستحضر موريسمارلو بونتي بوصفه أحد ركائز نظريته السيميائية، وخصوصاً في مجال الفهم والإدراك (Maria Pia Pazzato, 1990, 61) داخل المجال نظرية القراءة، كما يستلهم – أيضاً – منه مفهوم الفضاء الاجتماعي، لتأكيد على البعد الدلالي للكلام وعلاقة الفاعل بالعالم والتاريخ، وعلى هذا المنوال يحدد غريماس الفاعل *sujet* والذات *être* بمثابة نقص *imperfection* مكون للوجود والفضاء إنساني أساساً، وجهد نحو كمال للهوية والحياة والمعرفة ومن ثم، فإن النقص يتضح كوسيلة تقذف بنا من اللامعنى إلى المعنى. (Maria Pia Pazzato, 1990, 62)

## 2. المنهج الفينومينولوجي وسؤال التجربة:

يبدو تساءل موريسمارلو بونتي **Maurice Merleau Ponty**، حول الفينومينولوجيا في أصولها الأنطولوجية، إنما هو تساؤل حول المنهج الفينومينولوجي أو لإكساب

«الفيينومينولوجيا أبعاداً جديدةً، أو يفسح طريقها داخل مجالات الإدراك الحسي واللغة والفن» (سعيد توفيق، 2002، 16)، والمقصود هنا بالفيينومينولوجيا هو المنهج أو الاتجاه الذي يتجاوز الفلسفات التقليدية، وهذا ما يؤكد أن الفيينومينولوجيا ليست مذهباً أو فلسفة في المقام الأول بل علم وصفي يتوقف التطبيقات الفيينومينولوجية (سعيد توفيق، 2002، 17)، وعليه إن التساؤل حول المنهج الفيينومينولوجي لا يمكن أن نخترله في اسم "هوسرل" كمؤسس أو مرادف له، ولكن الاتجاه الفيينومينولوجي يتجاوز إلى حد بعيد فيينومينولوجيا هوسرل. ومن خلال هذه التساؤل المنهجي يتضح أن لمصطلح فيينومينولوجيا الكثير من الأبعاد والدلالات، ويمكن حصر هذه الأبعاد كالآتي (سعيد توفيق، 2002، 17):

1. الفيينومينولوجيا الماهوية

2. الفيينومينولوجيا الترانسندنتالية

3. الفيينومينولوجيا الهرمونطيقا

4. الفيينومينولوجيا الوجودية.

إن الفيينومينولوجيا بوصفها علماً يتوقف على حدود الماهيات (الجواهر) ووصف ظواهرها، فإنها تقوم على أنقاض «مما يتركه العلم بلا توضيح، أي مما ينظر إليه العلم على أنه وقائع جاهزة وبديهيات واضحة بذاتها». إنها تريد أن تبدأ من الخبرة المباشرة بالعلم والأشياء، أي من معنى الأشياء كما تبدو في خبرتي، وليس باعتبارها وقائع مستقلة عني» (سعيد توفيق، 2002، 17)، بهذا المنطلق تغدو الفيينومينولوجيا في صورتها النسقية والفلسفية من منظور هوسرل مرتبطة بالوصف وليس التفسير.

إذا عدنا إلى فيينومينولوجيا الإدراك، فإننا نلغي مارلو بونتي يصرح باتباعه مبدأ هوسرل الداعي بالعودة إلى الأشياء ذاتها؛ إذ إن العالم بالنسبة للفيينومينولوجية دائماً سابق في وجوده قبل كل تفكير، إنه حضور غير قابل للتعديل، الذي يجب وصفه، لا تحليله (سعيد توفيق، 2002، 19). ولذا فإن الفيينومينولوجيا في منطلقاتها الأولية ترجع إلى حقل علم النفس، في وصف المظاهر السيكلوجية، كالإدراك والإحساس والشعور والوعي. غير أن هوسرل وأتباعه تجاوز هذه الانطباعات والانفعالات السيكلوجية، لتشمل الإطار الفلسفي والأنطولوجي لتحديد بنية الظواهر وشروطها العامة منذ أول اتصالها المباشر بالوعي (فضاء الماهيات الجواهر)، ومنه فإن الحقل السيكلوجي يهتم بالوعي التجريبي، في حين أن الحقل الفيينومينولوجي يهتم بالوعي الخالص، وكذا التأسيس فإن السعي الفيينومينولوجي في وصفه

لللقاء الأنطولوجي بين الوعي والعالم لم يقف على العلم والفلسفة معا، كنقطة بدء له « (Maria Piapozzato, 1997, 62)، بل البحث عن الحقيقة والكشف عن البدايات الأولى، والمنطلقات الفينومينولوجية الأولية.

يعمق هوسرل داخل الدائرة الفينومينولوجية الفرق بين ظاهرتين بين ما هو فيزيائي وبين ما هو نفسي (سعيد توفيق، 2002، 19). فالفينومينولوجية لا تسعى إلى الفصل بين العمليات الفيزيائية والنفسية، كون أن الفصل بينهما-الأشكال الفيزيائية والأحداث النفسية ليس على درجة من السهولة، فعبارة " الطقس جميل " تمزج بين الفيزيائي والنفساني، فالحدث النفساني في هذه العبارة هو إحساس أو شعور الذات تجاه الموضوع (الطقس)، وأما الشكل الفيزيائي فيتجلى في الجمع بين وحدتين مفهومتين وهما الطقس كظاهرة فيزيائية مرتبطة بالأثر والجمال في بعده السيكلوجي الشعوري.

ولعلّ الصعوبة في الفصل بين الفيزيائي والنفساني قد جعلت بعض الفلاسفة أمثال لوك Look وهيوم Hume، يقرّون بتبعية الفيزيائي للنفساني. وبهذا يكون هوسرل يهدف إلى تأسيس علم نفس جديد وهو علم النفس الفينومينولوجي الماهوي Psychologie Eidétique نظام سيكلوجي جديد مواز له في المنهج والمضمون هو علم النفس القبلي الخالص أو فينومينولوجي.

إن دعوة هوسرل إلى إقامة نظام فلسفي جديد يقوم على مبدأ الصرامة – الفينومينولوجي الماهوية- إنما هو رفض لتلك المتصورات المتمثلة في « الثنائية الكانطية المتأصلة في تاريخ الفلسفة منذ أفلاطون، بين الظاهرة والنومين أو بين المظهر والحقيقة، تلك الترة البنائية التي ينتقل فيها هيكل من الظواهر إلى العقل المطلق الذي يفترض أن هذه الظواهر تكشف عنه » (سعيد توفيق، 2002، 24). غير أننا نجده يتقاطع معهما في كون أن الظاهرة هي معطى، أي أن هذه الظواهر تعطى مثلما هي عليه.

يحدد هوسرل كيفية وجود الأشياء بالنسبة للمدرك (العودة للأشياء). أي إدراك المعنى أو ماهية الشيء في الظاهرة نفسها، ومنه يصبح الموضوع المقصدي بالنسبة للفكر الفينومينولوجي هو محور الأساس، وعليه ينبثق الموضوع المقصدي من عالم الأشياء لا التصورات من المعطيات لا النظريات ولعل هذا ما يفسر شعور هوسرل اتجاه الفلسفة التي قصرت اهتماماتها البالغة « بالتصورات Concepts، واهتماما ضئيلا بالمعطيات Data.. ومن هنا أراد هوسرل أن يجعل الفلسفة بحثا بلا تصورات أو فروض مسبقة، وأن تقدم على

المعطيات والأشياء ذاتها» (سعيد توفيق، 2002، 26)، وهذا فإن العودة إلى الأشياء ذاتها يعني البدء مما هو معطى في وعينا المباشر المحيط بخبراتنا السابقة، أي البحث الفينومينولوجي بحثٌ يبدأ من وصف بنية الظاهرة المعطاة، أي التأسيس الذاتي الذي تكون عليه. ثم إن هوسرل بدحضه للترعة الظاهرية الحسية لدى هيوم الذي لم يفهم الخبرات إلاّ الخبرة الحسية.. ولم ير من الظواهر إلا ما يظهر للحس لاما يظهر للوعي كخبرات معيشة **Live expérience** القابلة للوصف والتحليل. (سعيد توفيق، 2002، 29) إنما هو تحرير من الفروض والأحكام الحسية المسبقة.

إن الفينومينولوجيا وعبر مسارها التاريخي لم تخرج عن ذلك الإطار الكوني بوصفها منهجا لمعرفة علاقة الوعي بالعالم. وهذا من خلال جملة التساؤلات وهو: كيف تفسر ونفهم علاقة الوعي بالعالم بعيدا عن كل واقعية ومثالية بمعناها التقليدي؟ أو بالأحرى، كيف نفهم الموضوع كما يبدو في الخبرة المباشرة، وبهذا المسعى فإن الفينومينولوجيا تحاول وعبر تطورها أن تركز على مجموعة الأدوات المنهجية للحد من مثل هذه الطروحات. إنّ هدف الفينومينولوجيا بمعنى أدق، يكمن في دراسة الماهيات (الجواهر) كما تبدو وتظهر للوعي أو في خيرة الذات، صحيح أن المنهج الفينومينولوجي بتعدد الظواهر، وهذا باعتبار أن الظاهرة من المنظور الفينومينولوجي هو ما يظهر في أساليب متنوعة. كالإدراك الحسي والتخيل والانفعال، فالفينومينولوجيا تقف وراء هذه الظواهر بوصفها خبرات شعورية خالصة محملة بالمعاني، أي تحديد المجال الذي تمظهر فيه الظواهر للوعي كما تبدو لأول وهلة. ولذا تجلّى تحت اسم الفينومينولوجيا مفاهيم أساسية، مثل المقصدية ومقصدية الوعي.

### 3. الفينومينولوجيا وبناء الوعي المقصدي:

لقد أفضت الفينومينولوجيا في وقوفها على وصف المعالي الفكرية من العمليات العقلية، إلى انبجاس فكرة أساسية، داخل مسار الفكر الفينومينولوجي ذاته، وقد أشار روجيه جارودي إلى هذه الفكرة بأنها « الفكرة الرئيسية التي أدخلها هوسرل في الفلسفة المعاصرة، هي فكرة الاتجاه القصدي » (سعيد توفيق، 2002، 29)، ويعد الاتجاه المقصدي صلب الطرح الفينومينولوجي، بل يعد أحد اكتشافاتها العظيمة، ولذا ينظر هوسرل إلى فكرة المقصدية **Intentionnalité**، بأنها علاقة تربط الوعي بمضمون الظاهرة، وعليه فإن تحديده لمفهوم المقصدية ينطلق من مبدأ الوعي **Le principe de conscience**، عن أننا لا

نفهم الوعي إلا في حدود فهم الإطار المقصدي، أي أننا نفهم تحت اسم القصدية، تلك الخصوصية الفريدة للخبرة بوصفها وعيا بشيء ما. ومنه يستقي هوسرل مفهومه للوعي من أستاذه فرانز برانطانو Franz Brentano، الذي يرى أن الوعي وعي بشيء ما، ولذا فالمقصدية هي البنية الجوهرية في كل وعي، ومن ثم طبيعيا التمييز الجذري بين الوعي وما يوجد في الوعي (Jean-Paul Sartre, 1981, 144)، فمقصدية الوعي هي نوع غائي يتجه نحو موضوع ما، أي أن العلاقة دائما بين الوعي والشئ بوصفه ظاهرة هو الذي يحدد الفكر الفينومينولوجي، أي أن المعين يتشكل من خلال عملية التوجه الذي يمارسه الوعي تجاه الموضوع.

ومنه فالمقصدية في أصولها الاشتقاقية اللاتينية INTONTIO، لا تنفك عن التوجّه أو القصد، وكذا تغدو «المقصدية القدرة التي يمتلكها الوعي في رصد الموضوع أو بالأحرى كينونة الوعي كافتتاح على الموضوع» (شوقي، م، ز 50، 2000)، وعلى هذا المنوال تغدو المقصدية إجابة عن السؤال الأنطولوجي الذي يكمن في العلاقة بين الوجدان وموضوعه أو بالذات وموضوعها وهو كيف يمكن أن يكون شيء في ذاته بالنسبة لي؟

ولإنشاء معرفة أو إيجاد رابطة بين الذات وموضوعها فلا بد الاستشعار الذي هو ضرورة فكرية، وهو الذي يخلق التوتر بين الذات والموضوع، وهذا الاستشعار هو ما نسميه بالوعي، فالوعي هو الرابطة أو الربط الذي يجمع الذات والموضوع. .. فعل الذات الذي يستشعر به الذات (سامي أدهم، 13)، إذن فالاستشعار هو وعي، بوصفه رابطة منطقية الذي يخلق نوعا من التوتر الإيجابي بين الفكرة والتمثل، ولهذا يعرف الوعي بأنه الممارسة الفعلية التي تنعكس داخل الموضوع من أجل إنشاء معرفة أو تشكيل معين مدرك، إذن إننا دائما «- تتصور العلاقة المقصدية متضمنة داخل معي وصفي خالص، بوصفه خاصية جوهرية لبعض التجارب الحقيقية المعاشة، كتحديد ماهية " الظواهر " أو " الأفعال النفسية» (Edmund Husserl, 1962, 144) أو لأن المعنى الذي ينبثق عن التجربة المعيشة هو مجموع المعطيات التي ينشئها الوعي حول الموضوع.

إن العلاقة بين الوعي والموضوع ليست حميمة «بحيث يتلون الوعي بتلون موضوعه، إنما يستقل الوعي بخصوصيته الثابتة والخالصة عن موضوعه مهما طرأت عوارض وتبدلات وتحولات إزاء هذا الموضوع» (شوقي، م، ز 50، 2000)، ذلك أن المعنى وبوصفه كامناً في الوعي، إنه ليس منطقة لإنتاج المعنى. إن الوعي تكمن فاعليته في تحديد خاصية التوجيه، ولذا

فالوعي « إنما هو تصويب وهو فعاليته في تحديد خاصية التوجيه وهو صور التمثل، لكن هذا الوعي ليس هو الذي يكون المعنى، فلو أن الوعي الفردي كان هو الذي ينتج المعنى لأصبح هذا المعنى جزئياً وأصبح لكل فرد معانيه الخاصة، فلو كان الوعي هو المنتج للمعنى لأصبحت المعرفة من اختراع الخيال وأصبحت حادثة أو قصصاً خرافية، وانتفت الموضوعية » (سامي أدهم، 13)، ومنه فإن الوعي من منظور هوسرل ليس وعياً ذاتياً، وإنما هو وعي الذات موضوعها، أي شيء خارج عن الذات، ولذا فالتوجه الذاتي الذي يمارسه الوعي تجاه المعنى هو ما نسميه بالمقصدية، أي وعي "الأنا" الذي يفكر في ذاته، لا يستطيع أن يخلق المعنى، وإنما يشتغل على استكشاف ورصد المعنى واستعماله لإنشاء المعرفة، وذلك عن طريق التأليف والتركيب والربط بين المعاني وتالية الإدراك والفهم.

وإذا أبنا إلى كلمة المقصدية *Intentionnalité* فإنها تجمع بين خاصيتين، إذ كلمة *intension* خصوصية الإرادة في أن أعني شيئاً، وهذا ما يفترض وجود هدف ومشروع يستدعيان فعلاً من فاعل الوعي، والكلمة الثانية *extension* التي تعني الاحتواء (أو بلغة المنطق الماصدق) فالوعي يصدر حكم يهدف به إلى احتواء الجوهر. *Essence* (سامي أدهم، 18) وبهذا يتسامى الوعي بتجاوز نفسه داخل فعل التوجه. وفي الآن نفسه يكون متضمناً في المعنى القصدي لذلك التوجه.

وبهذا الطرح تغدو المقصدية في بعدها الفينومينولوجي عملية توجيه الوعي في أثناء ترابطه بالموضوع، وهذا التوجه هو ذاته من صميم فعل الوعي الذي يقوم على مبدأ الاختزال *La réduction*، إبعاد كل ما هو زائف من أجل الوصول إلى الحقيقة، إلى ما لا يقبل الاختزال وهو الجوهر (حسن عبد الكريم، 31). وهذا الاختزال في تمظهره الفينومينولوجي « يجعل الوعي واعياً بذاته، وذلك من خلال علاقاته بالأشياء، وجعل الذهن منتبهاً لما نسميه بالمعنى، وهذا ما يسمح للوعي بأن يظل يقظاً، ليصبح منتبهاً لذاته... فالوعي يصبح رجوعاً إلى ذاته أي إلى قصديته مع مواضيعه المتضايقة » (حسن عبد الكريم، 31، 32)، ولعل الفينومينولوجيا في وصفها الفعل الوعي *L'acte de conscience* في أثناء توجيهه نحو عالم الأشياء، إنما هو الوصول إلى جوهر المفاهيم والقيم، ولذا فالفينومينولوجيا هي وصف نفساني محض لأفعالنا الفكرية التي نتوصل إليها بواسطة وعينا، بوصفنا ننتمي لهذا العالم.

وفي معرض الحديث عن الأفعال الواعية بوصفها خبرات قصدية، فإننا نلفي أن هوسرل « ميّز داخل بنية الفعل القصدي بين قطبين رئيسين : الجانب الذاتي للفعل

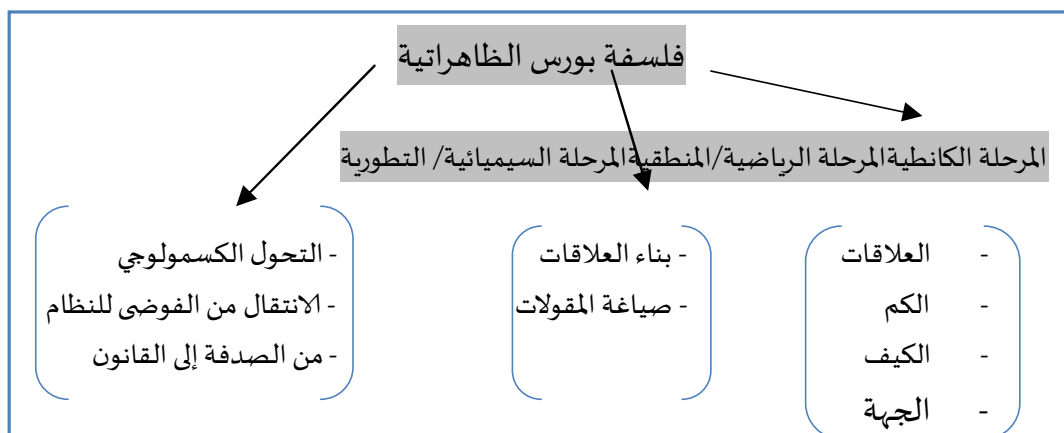
المقصدي ويسميه " النوتيزيس " Noésis أي الفعل المتجه نحو موضوع قصدي، والجانب الموضوعي للفعل المقصدي ويسميه " النوتيميا " Noema، أي الموضوع المشار إليه من خلال فعل قصدي، فالنوتيزيس والنوتيميا يناظران الجانب الذاتي والموضوعي المرتبطين معا داخل وحدة الخبرة القصدية «(سامي أدهم، 25). وتشدد الفينومينولوجيا التأويلية على النوتيميا، وهو وصف لمضمون معنى الخبرة وصفا تأويليا لإنتاج المعنى وتأسيسه.

وعلى هذا المنوال يكون هوسرل قد بنى توازيا داخل مجال الوصف الفينومينولوجي للخبرة الجمالية، ونلمس هذا التوازي بين بنية الفعل النوتيزيسي الفعل المقصدي الذاتي وبين محتوى النوتيميا (النظر الموضوعي للفعل الذاتي) فارتباط فعل المقصد. موضوعه لا يعد ارتباطا بواقعه بتجربته في العالم الخارجي أو بموضوع فيزيقي أو بمعطيات حسية إنما هو ارتباط بموضوع قصدي. (سعيد توفيق، 2002، 32)

ومجمل القول إن موضوع المقصدية في تداولها الفينومينولوجي موضوع مستقل عن الموضوع الواقعي أو المدرك، ومنه فإن دور المقصدية هو الملء، أي ملء الأشكال الفارغة للقصديات مضمون حسي، وعلى العموم فإن مقصدية هوسرل تنحصر في « أن فعل استهداف شيء ما، لا يتحقق هو ذاته إلا من خلال الوحدة القابلة للتمييز وإعادة التمييز للمعنى المقصود، وهو ما يدعوه " هوسرل " الوعي الإدراكي (Le noème) أو الارتباط المقصدي للهدف الذي هو موضوع الوعي الإدراكي، فضلا عن ذلك تنضاف إلى ذلك الوعي الإدراكي في شكل طبقات متراكمة نتيجة نشاطات تركيبية يسميها هوسرل تكوين (تكوين الشيء، تكوين الفضاء، تكوين الزمان إلخ..). « (بول ريكور، 2003، 20). أي كيفية وجود " الأشياء " بالنسبة لوعينا، ومن المنظور السيكلولوجي تغدو المقصدية مطابقة الداخل مع الخارج، ولذا مادام الوعي هو وعي بشيء ما فإنه لا يوجد فكر بدون موضوع فكر.

#### 4. فانيروسكوبية بورس السيمائية:

تقوم متصورات سيمائيات شارلز سندرس بورس حول العلامة وبخاصة حول عنصر المؤول بوصفه العنصر الإدراكي الذي يقع التوليد منه (محمد مفتاح، 81، 1978)، ذلك أن منطلقات شارلز سندرس بورس في صياغته للنظرية السيميوفينومينولوجية والتي يمكن تحديدها إلى ثلاثة مراحل. (محمد مفتاح، 74، 75، 1978) حيث استثمر مفهوم الفينومينولوجية داخل رحاب السيمائيات التداولية والتي انبنت على أسس فلسفية محضة



تعود الحقبة الأولى إلى المرحلة الكانطية التي سمحت له باستثمار المقولات الكانطية المتمثلة في (العلاقة، الكمية، الكيفية، الجهة..)، وكما يتّضح أيضاً تأثير كتاب نقد العقل الخالص في مفاهيم بورس السيميائية، بينما تكمن المرحلة الثانية في تأثيره برياضيات دو بول De Bool ومنطقته في صياغته للمقولات الثلاثة والعلاقات بينهما، وبناء على هذا التأسيس لا يمكن فهم أي ظاهرة ضمن طرف واحد أو اثنين، وفي ضوء هذه العلاقات الرياضية والمنطقية تأسست فلسفة بورس الظاهرية، وينضاف إلى هاتين الحقتين الحقبة التطورية التي كانت لها وقعها الخاص في تحويل تصوّر جديد لانتظام كوني (كوسمولوجي)، وذلك بردّ العالم إلى صيرورة متّصلة نحو الانتقال من الفوضى إلى النظام ومن لعبة المصادفة إلى قاعدة القانون.

يتّضح من هذا أن شارلز سندرس بورس وإن كان في منطلقاته فيلسوفا مثاليا، لحكم تأثيره بهذه المفاهيم الآنف الذكر، فإنه ينزع إلى فينومينولوجية تداولية، وبخاصة في أثناء تعامله مع العلامة، فهو يجمع ما بين الأعيان والأذهان (التصور والواقع). حيث تقوم تداوليته على الغاية والعادة والمجتمع لخلق الرموز والقوانين، وتاليا المنهج الفكري بالواقعي والتأملات الذهنية بالملاحظة المباشرة. (محمد مفتاح، 78، 1978)، لذا فالعلامة لا تحيل دون رد فعل، فهي تترك أثارا وتسمى "عادة" وهذا عندما يتعلّق الأمر بالإنسان، و"قانونا" عندما يتعلّق الأمر بالمجتمع أو بعلوم الإنسان. (Gérard Deledalle, 1980, 26) إن البعد التداولي للمعنى لا يوجد خارج عمليات الإدراك وتاليا إلى شروط القراءة والتأويل المتواضع عليها داخل مجتمع ما.

ومن هذا المنظور فإن فينومينولوجية هوسرل تختلف اختلافا جوهريا عن تلك التي أرساها ش.س.بورس داخل نظريته، فإن بورس في صياغته لما يطلق عليها اسم فانيروسكوبي (Phaneroscopie)، كان أقرب إلى لامبير Lambert واضع فينومينولوجيا، حيث كان طموحه تحويل نظرية الأشياء إلى نظرية العلامات. (Umberto Eco,1992,376) إن نظرية فانيروسكوبي لدى ش.س.بورس، تُعنى بوصف الظاهرة Phanero في إطار مبدأ الكلية الجماعية، وما هو حاضر داخل الفكر، وبأي معنى كان،.. كما تهتم أيضا بدراسة أقسام الظواهر العديدة وخصائص كل ظاهرة داخل إطار الكل (Charles Sanders Pierce,1979,67-68). فانيروسكوبية لا تتمظهر من خلال الظواهر في مباشرة للواقع، وإنما تتحدد في الربط بين الجزئيات التي تمثل المظاهر المباشرة. وحسب فانيروسكوبية أو فينومينولوجية بورس أن التتمظهر في ذاته la manifestation، لا يدل على حضور ما، بل يقيم دعائم العلامة.

وفي أثناء مدارس بورس للعلامة من منظور فينومينولوجي يستخلص ثلاثة مراتب للوجود (Charles Sanders Pierce,1979,22)، ويجسد هذه المراتب في مقولات ثلاثة:

### 1- الأولانية

### 2- الثانيانية

### 3- الثالثانية

تتمظهر الأولانية في وجود الشيء، كما هو موجود في ذاته، ومن دون إحالة أي كانت. أما الثانيانية فهي وجود الشيء في ذاته عبر علاقة ثانية، ولكن لا يمكن أن يتعلق إلا في علاقته مع شيء ثالث، بينما الثالثانية فتكمن -أيضا- في الشيء ذاته، وتتمثل في العلاقة المتبادلة بين المقولة الثانيانية والثالثانية.

ومن المنظور الفانيروسكوبي يقسم بورس العلامة حسب التفريعات الثلاثية في العلاقات الجزئية المكونة العلامة حسب مراتب الوجود، إذ تعد المرحلة الكانطية مراجعة للمقولات المنطقية من منظور أرسطي. بينما مرحلة المنطقية بين فيها بورس تصوره الثلاثي المراتب العلامة، وذلك بعد تقويض المنطق الأرسطي بالعلاقات المنطقية والرياضية. أما المرحلة السيميائية فتميزت برسائله المميزة إلى -لايدي وابل<sup>1</sup> (Charles Sanders Pierce,1979,19) والتي كان يمهد فيها لنظريته الجديدة حول العلامة ومراتب الوجود..

| مراتب الوجود | الثلاثية                   | علاقة قانونية | رمز   | علاقة حجاجية/برهانية |
|--------------|----------------------------|---------------|-------|----------------------|
|              | الثانوية                   | علاقة مفردة   | قريئة | علاقة قضوية          |
|              | الأولانية                  | علاقة نوعية   | أيقون | علاقة حملية/ خبرية   |
|              | التعريفات الثلاثية للعلامة |               |       |                      |

ووفقا لهذا التصور فإن نظرية بورس للعلامة في استثمارها للبعد الفينومينولوجي ترتكز على مسلمات فلسفية في تصورها للعالم ومكانة الإنسان داخله، أي أن سيميائيات بورس لا يمكن اختزالها في سلسلة من الإجراءات المجردة من روح الفكر. ذلك أن الإنسان بوصفه ممثلا Repräsentamen، أو الذهن الذي يؤول، أو بتعبير آخر إنه علامة، حيث إن المؤول لا يمكن أن يكون علامة معزولة عن الإطار الثقافي واللساني والجمالي والإيديولوجي. إذ لا علامة بدون فكر ولا فكر بدون علامة، ولهذا ترفض السيميائيات البورسية أسبقية الفكر على المادة والفردية على الجماعي والكلام على اللغة، بل تأخذ الشكل التداولي للفكر في ممارسته الممكن الذي يعطيه وجودا وعليه فالعلامة لدى بورس تزداد تحديا في إنتاج المعرفة كلما أوغلت في الإحالة والانتقال من مؤول لآخر.

#### خاتمة:

صحيح وإن كانت مسألة المقصدية ترجع أصولها إلى الحقلين الفينومينولوجي والفلسفي، فإن هذه الأخيرة قد تعدت إلى حقول متباينة ومتنوعة وبخاصة في الفكر السيميائي المعاصر. أي إلى العلاقات التي تربط بين العلامة ومعينها، بمعنى هل العلاقة بين العلامة والواقع علاقة تطابق أم انعكاس؟ أو بتعبير آخر هل هي علاقة تماثل أم احتمال؟ وهل كان لزاما على الفينومينولوجيا الاكتفاء والسعي وراء وصف المعاني ومصادرتها؟ أم فتح أفق التأويل على التعدد والانفتاح؟ وهل المعنى مرتبط بإرادة ووعي المؤلف ومقاصده فحسب؟ أم هناك من

يشارك المؤلف في صياغة هذا الوعي وضبطه؟ وما موقع إشكالية المقصدية داخل السيمائيات الإدراك بالخصوص؟

ومن خلال هذه الورقة البحثية ألفينا أنّ إشكالية المقصدية وما ساورها من توجهات وتبعات نقدية في ضوء السيمائيات الإدراكية، هي الأخرى قد خلّفت سجلاً نقدياً أنطولوجياً منذ أن بدأت حركة "التأويل" في أبسط صورها إلى أن ارتكزت بعض النظريات النقدية والفلسفية الفينومينولوجية، على أنّ الوعي داخل التصورات الإدراكية لا يمكن أن يخرج عن "معناه الواحد"، هذا المعنى الذي نلفيه مرهوناً بمقصدية ووعي الذات لنفسها، كما قد نلفيه مرتبطاً بمقصدية الوعي نفسه، وبالتالي فإن المسار الجينالوجي لمسألة المقصدية في أصولها الفينومينولوجية الهوسرلية والبورسية قد عكست تلك التراكمات الفلسفية حول وعي الذات بموضوعها وبالتالي إدراك الذات للعالم على أساس أن فلسفة الذات في بعدها الأنطولوجي قد شغلت بعض المفكرين والفلاسفة وتاليا علماء الجمال منذ القدم، بوصفها الحقيقة النهائية التي لا يتسلل إليها الشك، حسب تعبير فيخته J.G.Fichte.

#### مراجع البحث:

- <sup>1</sup> Jean François Lyotard , La phénoménologie, èd P U F Coll Que sis- je Paris 1976 p 15  
<sup>1</sup> \_مُجد شوقي الزين، تأويلات وتفكيكات، فصول في الفكر العربي المعاصر. 103.  
<sup>1</sup> \_Maria Pia Pazzato. L'arc phénoménologique et la flèche sémiotique, Notes à propos de Merleau-

#### قائمة المراجع بالعربية:

- 1- بول ريكور، من النص إلى الفعل، في التأويل، تر، مُجد براد، حسن بورقية، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية. دون تاريخ الطبع.
- 2- حسن عبد الكريم، المنهج الموضوعي، نظرية التطبيق، (بدون تاريخ، الطبع، ودار النشر)،
- 3- سامي أدهم استومولوجيا المعنى والوجود نقد التطورية مركز الانتماء القومي، لبنان، رأس بيروت.
- 4- سعيد توفيق، الخبرة الجمالية، دراسة في فلسفة الجمال الظاهرية. دار الثقافة للنشر، القاهرة 2002.
- 5- شوقي مُجد الزين ن تأويلات وتفكيكات فصول في الفكر العربي المعاصر، المركز الثقافي العربي. 2000
- 6- مُجد مفتاح، المفاهيم معالم، نحو تأويل واقعي، المركز الثقافي العربي، دار البيضاء، المغرب، بيروت لبنان.

#### قائمة المراجع الأجنبية:

- 1- Edmund husserl, recherches logiques ,recherches pour les phenomonologie et la théorie de la connaissance ,ed ,p.u.f.. tome 2.1962.paris.
- 2- Charles sanders pierce,Ecrrites sur le signe,trad,et,com.dearard deledalle,ed.seuil,1979.
- 3- Gérard Deledalle , Avertissement aux lecteurs de Pierce , in Langages ; Juin , N° 58. éd. Larousse1980.
- 4- Jean François Lyotard , La phénoménologie, èd P U F Coll Que sis- je Paris 1976.
- 5- Jean-Paul Sartre, l'imagination, ed. p.u.f. 8 edition. 1981.

---

6- Maria PiaPozzato , l'ARTE phénoménologique et la flèche sémiotique ,in , lire Greimas , Ericlandowski ,presse universitaires de limoges ,1997.

Eco Umberto , Les limites de l'interprétation , trad. Myriem Bouzaher , ed. Bernard Grasset , Paris , 1992